

سلسلة الإحياء في ثوبه الجديد .

قواعد عقائد أهل السنة والجماعة عند الإمام الغزالي

الدكتور : عمر محمد جبه جي

دكتوراه في أصول الفقه ومقاصد الشريعة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده ، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبدته وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .

أما بعد : فهذا بحثٌ جديدٌ في سلسلة الإحياء في ثوبه الجديد ، وهو بحثٌ في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة عند حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله ، والإمام الغزالي يضع هذه القواعد ليبين بها المذهب الحق ، الذي يمثل وسطية الإسلام ، ويمزج بين العقل والنقل ، وهو بهذا البحث المختصر يقدم للمسلم ما ينبغي أن يعتقده عن الله والرسول والغيبيات ، كما يميز عقائد أهل السنة عن غيرها من عقائد المبتدعة من الشيعة والمعتزلة والمرجئة والجهمية والمجسمة وغيرها ، ولم يتعرض الغزالي رحمه الله لهذه الفرق بالتسمية بشكلٍ مباشرٍ ، بل ذكر الاعتقاد الصحيح والذي مفاده بطلان كل اعتقاد يخالفه .

وفي هذا البحث قمت بدمج مبحثين للإمام الغزالي وهما مبحث قواعد العقائد والرسالة القدسية لما بينهما من اتصال ، كما قمت بوضع ما يتعلق بمسائل الكلام والتأويل في بحثٍ آخر كيلا يثقل هذا البحث على القراء، ويبقى بحثاً بسيطاً مباشراً يقدم العقيدة بسهولة ويسرٍ للمسلم المعاصر .

في هذا البحث سيتعرف القارئ على أركان الاعتقاد عند أهل السنة ، فهو يبدأ بالإيمان بالله وبيان الأدلة على وجوده سبحانه ومخالفته للحوادث ، وتنزيه الله عما لا يليق ، كما يبين معنى التوحيد ، ثم يذكر صفات الله سبحانه وهي الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ويستدل لكل ذلك بأدلة من العقل والنقل ، ثم يبين أفعال الله تعالى وتفرد بالخلق والتدبير .

وفي الركن الثاني يتحدث عن الإيمان بالرسول وخاتمهم عليه الصلاة والسلام و يذكر المعجزات الدالة على صدقه عليه السلام .

وفي الركن الثالث يتحدث عن الإيمان بالغيبات وما يتعلق باليوم الآخر ، فيبدأ بحياة البرزخ وسؤال الملكين ، ثم الحشر والميزان والصراف والشفاعة والجنة والنار وغيرها من أخبار الآخرة التي ذكرها الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .

وفي ختام البحث يذكر اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويذكر أن على المسلم أن يحسن الظن بجميع الصحابة وبيثني عليهم كما أثنى الله عز وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين.

وفي الختام يقول الغزالي رحمه الله : (فهذه الأركان الحاوية لقواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقاً لأهل الحق وعصابة السنة ومبائناً لرهط الضلال وحزب البدعة) نسأل الله تعالى أن يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

الدكتور : عمر محمد جبه جي

قواعد عقائد أهل السنة والجماعة .

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى .

أولاً : معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأنه تعالى واحدٌ .

ومداره على أصول:

الأصل الأول: معرفة وجوده تعالى .

وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان ، وقد قال تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، وبنينا فوقكم سبْعاً شداداً ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ، لنخرج به حباً ونباتاً ، وجنات ألفافاً) (سورة النبا : 6-16).

وقال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (البقرة : 164).

فليس يخفى على من معه أدنى مسكةٍ من عقلٍ إذا تأمل بأدنى فكرةٍ مضمون هذه الآيات ، وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات ، وبدائع فطرة الحيوان والنبات ، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانعٍ يدبره وفاعلٍ يحكمه ويقدره ، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورةً تحت

تسخيره ، ومصرفةً بمقتضى تدبيره ، ولذلك قال الله تعالى : (أفي الله شك فاطر السموات والأرض) (إبراهيم : 10) ، ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا : لا إله إلا الله ، وما أمروا أن يقولوا : لنا إله وللعالم إله ، فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشوئهم وفي عنفوان شبابهم ، ولذلك قال عز وجل : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (الزمر : 38) ، وقال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (الروم : 30) .

فإذاً في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان ، ولكننا على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار نقول : من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالم حادث فإذاً لا يستغنى في حدوثه عن سبب .

الأصل الثاني : تنزيه الله عما لا يليق به .

الله سبحانه ليس بجسمٍ مصورٍ ولا جوهرٍ محدودٍ مقدرٍ ، و لا يماثل الأجسام ولا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وليس بجوهرٍ ولا تحله الجواهر ، ولا بعرضٍ ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجودٌ "ليس كمثلته شيء" ولا هو مثل شيء .

والله تعالى قديمٌ لم يزل ، أزليٌ ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء ، وقبل كل ميتٍ وحي .

وبرهانه : أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر هو أيضاً إلى محدثٍ ، وافتقر محدثه إلى محدثٍ ، وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية ، وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدثٍ قديمٍ هو الأول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم ومبدؤه وبارؤه ومحدثه ومبدعه .

والله تعالى مع كونه أزلياً أبدياً ليس لوجوده آخر .

وهو تعالى ليس بجوهرٍ يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز ، و هو تعالى
لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون
ولا السموات.

ويرهانه: أن كل جوهرٍ متحيزٍ فهو مختصٌ بحيزه ، ولا يخلو من أن يكون ساكناً
فيه أو متحركاً عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان .

وهو تعالى ليس بجسمٍ مؤلفٍ من جواهرٍ إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر
، وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصاً بحيزٍ ، بطل كونه جسماً.

وهو تعالى ليس بعرضٍ قائمٍ بجسمٍ أو حالٍ في محل .

فإذاً لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيءٌ بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيءٌ
وأنى يشبه المخلوق خالقه ، والمقدور مقدره والمصور مصوره ، والأجسام والأعراض
كلها من خلقه وصنعه ، فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابته.

والله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوقٌ وإما أسفلٌ
وإما يمينٌ وإما شمالٌ أو قدامٌ أو خلفٌ ، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها.
وأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء ، وفيه أيضاً
إشارة إلى ما هو وصفٌ للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على
صفة المجد والعلاء فإنه تعالى فوق كل موجودٍ بالقهر والاستيلاء.

وهو تعالى مستوٍ على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء.

وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء ، استواءً
منزهاً عن المماساة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل
العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته.

وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيءٍ إلى تخوم الثرى، فوقيةً لا تزيده قريباً إلى
العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن
العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى.

وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) (فصلت : 11) ، وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيف ودم مهباق
واضطرَّ أهل الحق إلى هذا التأويل لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محالٌ ، وما يؤدي إلى المحال فهو محالٌ .
وهو مع ذلك قريبٌ من كل موجودٍ وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد "وهو على كل شيءٍ شهيدٌ" ، إذ لا يماثل قرينه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل في شيءٍ ولا يحل فيه شيءٌ تعالى عن أن يحويه مكانٌ ، كما تقدس عن أن يحده زمانٌ ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان .

وأنه بائنٌ عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته ، وأنه مقدسٌ عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعثره العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال .
وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالأبصار نعمةً منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

وهو تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئياً بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار .

لقوله تعالى : (وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ) (القيامة : 22) ، ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (الأنعام : 103) ، ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام : (لن تراني) (الأعراف : 143) ، وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى

عليه السلام ؟ وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً ؟ ولعل الجهل بذوي البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم

الأصل الثالث: العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له.

فردٌ لا ند له ، انفرد بالخلق والإبداع ، لا مثل له يساهمه ويساويه ، ولا ضد له فينازعه ويناويه .

ويرهانه : قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا) (الأنبياء : 22) وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً قاهراً والأول ضعيفاً قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً.

ثانياً : العلم بصفات الله .

1- الحياة والقدرة (الله صانعٌ قادرٌ) .

الله تعالى حيٌّ قادرٌ ، جبارٌ قاهرٌ ، لا يعتريه قصورٌ ولا عجزٌ ، ولا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ ، ولا يعارضه فناءٌ ولا موتٌ ، وهو ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر ، والسماوات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته.

وهو المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والإبداع ، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وأجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدورٌ ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدراته ولا تنتهى معلوماته.

وهو تعالى في قوله: (وهو على كل شيء قديرٌ) (الملك : 1) صادقٌ لأن العالم محكمٌ في صنعته مرتب في خلقته ، ومن رأى ثوباً من ديباجٍ حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميتٍ لا استطاعة

له أو عن إنسانٍ لا قدرة له كان منخلعاً عن غريزة العقل ، ومنخرطاً في سلك أهل الغباوة والجهل.

2- العلم: وأنه عالمٌ بجميع المعلومات محيطٌ بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات ، وأنه عالمٌ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلمٍ قديمٍ أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلمٍ متجددٍ حاصلٍ في ذاته بالحلول والانتقال.

وهو تعالى صادقٌ في قوله : (وهو بكل شيءٍ عليمٌ) (الحديد : 3) ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك : 14) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق لللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف ، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف.

3- الإرادة: وأنه تعالى مريدٌ للكائنات مديبٌ للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليلٌ أو كثيرٌ ، صغيرٌ أو كبيرٌ ، خيرٌ أو شرٌ ، نفعٌ أو ضرٌ ، إيمانٌ أو كفرٌ ، عرفانٌ أو نكرٌ ، فوزٌ أو خسرانٌ ، زيادةٌ أو نقصانٌ ، طاعةٌ أو عصيانٌ إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيتته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا يخرج عن مشيئته لفئة ناظرٍ ، ولا فلتة خاطرٍ ، بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد ، لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته.

ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته ، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرةً أو يسكنوها دون إرادته ومشيتته لعجزوا عن ذلك، وأن إرادته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في

أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزله من غير تقدم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغيير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تریص زمانٍ فلذلك لم يشغله شأنٌ عن شأنٍ .

4-السمع والبصر: وأنه تعالى سمیعٌ بصیرٌ یسمع ویرى ولا یعزب عن سمعه مسموعٌ وإن خفي ، ولا یغیب عن رؤيته مرئیٌ وإن دق، ولا یحجب سمعه بعدٌ ولا یدفع رؤيته ظلامٌ .

ولا یعزب عن رؤيته هواجس الضمیر وخفايا الوهم والتفكير ، ولا یشد عن سمعه صوت دبیب النملة السوداء في اللیلة الظلماء على الصخرة الصماء ، وكيف لا یكون سمیعاً بصیراً والسمع والبصر کمالٌ لا محالة وليس بنقصٍ؟! ، فكيف یكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع؟! ، وكيف تعادل القسمة مهما وقع النقص في جهته والکمال في خلقه وصنعتة؟! ، أو كيف تستقیم حجة إبراهيم عليه السلام على أبيه إذ كان یعبد الأصنام جهلاً وغياً فقال له: (لم تعبد ما لا یسمع ولا یبصر ولا یغني عنك شيئاً) (مریم : 42) ولو انقلب ذلك علیه في معبوده لأضحت حجته داحضةً ودلالته ساقطةٌ ولم یصدق قوله تعالى : (وتلك حجتنا آتیناها إبراهيم على قومه) (الأنعام : 83) .

5-الكلام: وهو تعالى متکلمٌ أمرٌ ناهٍ ، واعدٌ متوعدٌ بكلامٍ أزليٍّ قديمٍ لا یشبهه كلام الخلق ، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام .

وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مریداً سمیعاً بصیراً متکلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام .
وكلامه تعالى ليس بصوتٍ ولا حرفٍ ، بل لا یشبهه كلامه غيره كما لا یشبهه وجوده وجود غيره .

ثالثاً : العلم بأفعال الله تعالى .

وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم في أفعاله ، عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً، فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن شيئاً إذ كان موجوداً وحده ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته.

وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتتان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً.

وأنه عز وجل يثبت عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له ، إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق.

وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه ووعدوه فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به.

وجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته ، تصديقا له في قوله تعالى : (الله خالق كل شيء) (الزمر : 62) ، وفي قوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون)

الصفات : 96) ، وفي قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك :13).

الركن الثاني: الإيمان بالرسول .

ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا : لا فائدة في بعثتهم إذ في العقل مندوحة عنهم .

و العقل لا يهدى إلى الأفعال المنجية في الآخرة كما لا يهدى إلى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة.

و الله سبحانه بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالاته إلى كافة العرب والعجم ، والجن والإنس ، فنسخ بشريعته شرائع اليهود والنصارى والصابئين إلا ما قرره منها.

وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك "محمد رسول الله" وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة.

وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر¹ وتسبيح الحصى² وانطاق العجماء³ وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فإنهم مع تمييزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبه ونهيه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدرُوا على معارضته بمثل القرآن ، إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه

¹ _ متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس .

² - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر .

³ أخرجه أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكا إلى النبي أهله ، وقد ورد في كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل .

من أخبار الأولين مع كونه أمياً غير ممارس للكتب ، والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين) (الفتح : 27) وكقوله : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) (الروم : 1) ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى فمهما كان مقروناً بتحدي النبي ينزل منزلة قوله صدقت .

الركن الثالث: الإيمان بالسمعيات وتصديقه صلى الله

عليه وسلم فيما أخبر عنه .

أولاً : عذاب القبر وسؤال الملكين .

وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، وأوله: سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سوياً ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟⁴ وهما فتانا القبر⁵

ويجب الإيمان بعذاب القبر⁶ وأنه حق وحكمة عدل على الجسم والروح على ما يشاء.

وقد ورد الشرع به قال الله تعالى: ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ { سورة غافر: 46 } واشتهر عن رسول الله والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر⁷ وهو ممكن فيجب التصديق به ولا

⁴ - أخرجه الترمذي وصححه .

⁵ - أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتاني القبر فقال عمر : أترد علينا عقولنا ؟ .

⁶ _ أخرجه الشيخان من حديث عائشة .

⁷ _ أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة وعائشة .

يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها.

فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ، ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت ، وعدم سماعنا للسؤال له فإن النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه⁸ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه.

ثانياً : الحشر والنشر.

وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب ، لأنه في العقل ممكن ، ومعناه الإعادة بعد الإفناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الإنشاء .
قال الله تعالى: ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ { سورة يس: 78، 79 } فاستدل بالابتداء على الإعادة وقال عز وجل: ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ { سورة لقمان: 28 } والإعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول.

ثالثاً : الميزان .

وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان ، وصفته في العظم أنه مثل طبقات السماوات والأرض ، توزن الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لتمام العدل، وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة

⁸ _ أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله: يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى .

النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله⁹. وهو حق قال الله تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ { سورة الأنبياء: 47 } وقال تعالى: ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه ﴾ { سورة المؤمنون: 102، 103 } ووجهها أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب.

رابعاً : الصراط .

وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهدى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار¹⁰ قال الله تعالى: ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم. وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ { سورة الصافات: 23، 24 }. وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط.

خامساً : الحوض .

وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم ، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط¹¹ من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها

⁹ _أخرجه البيهقي في البعث من حديث عمر .

¹⁰ _ أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة .

¹¹ _ أخرجه مسلم من حديث أنس .

أبدأ ، عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء¹² فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر¹³ .

سادساً : الحساب .

وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقرّبون ، قالت عائشة عندما قال صلى الله عليه وسلم : من نوقش الحساب عذب ، قالت: قلت يقول الله تعالى: فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ قال : ذلك العرض¹⁴ ، وقال صلى الله عليه وسلم : (عرضت علي الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)¹⁵ .

ويسأل الله تعالى من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، فيبدهى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته¹⁶ .

ويسأل المسلمين عن الأعمال قال عليه الصلاة والسلام : (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته...)¹⁷ .

وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد¹⁸ .

¹² _ أخرجه مسلم من حديث أنس .

¹³ _ أخرجه مسلم من حديث ثوبان .

¹⁴ _ أخرجه الشيخان من حديث عائشة.

¹⁶ - أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس .

¹⁶ _ أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد .

¹⁷ _ أخرجه أصحاب السنن من حديث أبي هريرة .

¹⁸ _ أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة .

سابعاً: الشفاعة .

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ، قال عليه الصلاة والسلام (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)¹⁹ .

ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، يقول الله تعالى للملائكة : (من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه)²⁰

ثامناً : الجنة والنار.

قال الله تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (آل عمران : 133) ، فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى: ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (الأنبياء : 23) .

¹⁹ _ أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان .

²⁰ _ أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري .

الركن الرابع: في تفضل الصحابة ورتبهم في الفضل

كالخلافة .

وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة²¹ ، وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم قال ابن عمر رضي الله عنه : كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : فخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان²² .
وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف.

وعلى المسلم أن يعتقد أن الإمام الحق بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله على إمام أصلاً إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟
فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة ، وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله ، وخرق الإجماع وذلك مما لا يستجريء على اختراعه إلا الروافض ، واعتاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ، وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة ، إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائريهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع

²¹ _ حديث الثناء على الصحابة تقدم.

²² _ أخرجه البخاري من حديث ابن عمر .

عظم جنائيتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء : كل مجتهدٍ مصيبٌ ، وقال قائلون : المصيب واحدٌ ، ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلاً.

و على المسلم أن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين ، قال صلى الله عليه وسلم : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي)²³ .
وقال أيضاً : (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)²⁴ .
وقال أيضاً : (لا تسبوا أصحابي)²⁵ .

فهذه الأركان الحاوية لقواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل الحق وعصابة السنة ومبائناً لرهط الضلال وحزب البدعة فالله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى.

²³ _ أخرجه الترمذي من حديث عبد الله ابن مغفل .

²⁵ - أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود.

²⁶ - أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد .

